

سلسلة

قصص في الأخلاق

٢١

منتدى اقرأ الثقافي

www.igra.afilamontada.com

قصص في الوفاء

مصطفى أحمد علي



منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلسلة قصص الأخلاق

٢١

قصص في

الوفاء

إعداد
مصطفى أحمد علي



الموضوع : الأداب (القصص)
المعنونان : قصص في الوفاء
إعداد : محمد محمود القاضي
مدحت منصور مظالي

عدد الصفحات : ١٦

قياس الصفحات : ٢٠×١٤

رقم التسلسل : ٥٩



دار الغوثاني للدراسات القرآنية

جميع الحقوق محفوظة

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧
فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ +٩٦٣ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ +٩٦٣

algwthani@scs-net.org

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

قِصَصٌ فِي الْوَفَاءِ

وَفَاءٌ جَمِيلٌ

قَبْلَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَشِيرُ أَصْحَابَهُ بِشَأْنِ
الْمَعْرَكَةِ، فَتَكَلَّمَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
فَأَحْسَنَا الْكَلَامَ.

وَأَرَادَ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ رَأْيَ الْأَنْصَارِ، وَخَاصَّةً أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ
عَاهَدُوهُ عَلَى أَنْ يُدَافِعُوا عَنْهُ وَيَنْصُرُوا دَعْوَتَهُ، فَقَامَ مِنْهُمْ الْمُقْدَادُ بْنُ
عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِمَضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ
فَنَحْنُ مَعَكَ.. وَلَكِنَّا لَنَنْ عَنِ يَمِينِكَ وَعَنْ يَسَارِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَمِنْ
خَلْفِكَ؛ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لَكَ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَائِلًا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
لَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ
عَلَى ذَلِكَ عَهْدَنَا وَمَوَائِقَنَا، فَاِمضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ، فَنَحْنُ
مَعَكَ.. فَسِرْنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ.

فَفَرِحَ الرَّسُولُ ﷺ بِرَأْيِ الْأَنْصَارِ، وَأَعْجَبَ بِإِخْلَاصِهِمْ وَوَفَائِهِمْ
لِعَهْدِهِمْ.

الأوفياء

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَغْرِضُ دَعْوَتَهُ عَلَى الْقِبَائِلِ الْقَادِمَةِ إِلَى مَكَّةَ لِزِيَارَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ.

وَفِي أَحَدِ الْمَوَاسِمِ، أَقْبَلَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَابَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَدَعَاهُمُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَشَرَحَ اللَّهُ صُدُورَهُمْ لِلْإِيمَانِ.

فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟». فَقَالُوا: «لَا تُبَايِعُكَ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَاةَ الْخَمْسَ، وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا».

فَبَايَعُوا النَّبِيَّ ﷺ وَعَاهَدُوهُ عَلَى ذَلِكَ، وَصَدَقُوا فِي بَيْعَتِهِمْ، وَوَفَّوْا بِعَهْدِهِمْ، حَتَّى أَنْ بَعْضَهُمْ إِذَا سَقَطَ مِنْهُ سَوْطُهُ، لَا يَسْأَلُ أَحَدًا أَنْ يُنَازِلَهُ إِيَّاهُ؛ وَذَلِكَ وَفَاءً لِعَهْدِهِمْ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ أَلَّا يَسْأَلُوا أَحَدًا شَيْئًا.

الزَّوْجُ الْوَفِيُّ

كَانَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَثَالًا لِلزَّوْجَةِ الْوَفِيَّةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ؛ تَفَرَّحَ لِفَرَحِهِ، وَتَحْزَنَ لِحُزْنِهِ، وَتَسَانَدَتْ فِي الشَّدَائِدِ، وَتَحْمِلُ مَعَهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَتَاعِبِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَكَانَ ﷺ يُقَدِّرُ لَهَا هَذَا الْعَطَاءَ، وَيَعْرِفُ لَهَا هَذَا الْفَضْلَ.

وَبَعْدَ أَنْ مَاتَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بَقِيَ ﷺ وَفِيَّاءَ لَهَا؛ يُكْرِمُ صَدِيقَاتِهَا، وَيَفْرَحُ إِذَا رَأَى أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا، وَيَذْكُرُهَا دَائِمًا بِالْخَيْرِ، وَشَيْئًا عَلَيْهَا.

وَذَاتَ مَرَّةٍ، أَكْثَرَ ﷺ مِنَ النَّسَاءِ عَلَيْهَا أَمَامَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَأَخَذَتْهَا الْغِيْرَةُ، وَقَالَتْ لَهُ: هَلْ كَانَتْ إِلَّا عَجُوزًا أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا؟

فَغَضِبَ ﷺ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ لَهَا: «وَاللَّهِ مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا؛ آمَنْتُ بِبِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَبَنِي النَّاسُ، وَوَسَّيْتَنِي بِمَا لَهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا الْوَلَدَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النَّسَاءِ».

وَفَاءٌ مَعَ الْمُشْرِكِينَ

فِي الْعَامِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ، عَقَدَ الْمُشْرِكُونَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ صُلْحَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَكَانَ مِنْ شُرُوطِ الصُّلْحِ أَنَّهُ إِذَا أَسْلَمَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَذَهَبَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ رَدَّهُ إِلَى قَوْمِهِ.

وَبَعْدَ عَقْدِ الصُّلْحِ مُبَاشَرَةً، جَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلٍ بْنُ عَمْرِو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُوهُ قَامَ إِلَيْهِ وَعَنَّقَهُ، ثُمَّ طَلَبَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يُرَدَّ أَبَا جَنْدَلٍ؛ تَنْفِيذًا لَشُرُوطِ الصُّلْحِ، فَوَافَقَ ﷺ.

فَقَالَ أَبُو جَنْدَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرِّدُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتُونِي عَنْ دِينِي؟

فَأَخْبَرَهُ ﷺ بِالْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ الْوَفَاءُ بِهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، وَإِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا».

وَفَاءٌ عِنْدَ الْمَوْتِ

يُحْكِي أَنَّ رَجُلًا قَابَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَزُوجَهُ ابْنَتَهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَائِلًا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَهُوَ بِذَلِكَ لَمْ يُوَافِقْ، وَلَمْ يَرْفُضْ.

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ، حَدَّثَ أَنَّ رَقْدَ عَبْدُ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ، فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: انْظُرُوا فَلَانًا، فَإِنِّي قَدْ قُلْتُ لَهُ فِي ابْنَتِي قَوْلًا يَشْبِهُ الْوَعْدَ (أَي: لَمْ أَصَارْخُهُ بِالْمُوَافَقَةِ أَوْ الرِّفْضِ) فَمَا أَحَبُّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِثُلُثِ التَّفَاقِ، فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهُ ابْنَتِي.

يَقْصِدُ أَنَّ إِخْلَافَ الْوَعْدِ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَافِقِينَ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «آيَةُ الْمُتَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتَّيَمَّنَ خَانَ».

الْوَفَاءُ لِلْوَطَنِ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ مَكَّةَ حُبًّا كَبِيرًا، فَهِيَ بَلَدُهُ الَّذِي وَلِدَ فِيهِ، وَفِيهَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامُ، وَعَلَى أَرْضِهَا نَزَلَ الْوَحْيُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ. وَلَمَّا اشْتَدَّ إِيْذَاءُ الْمُشْرِكِينَ لِلرَّسُولِ ﷺ وَصَحَابَتِهِ فِي مَكَّةَ، أَمَرَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

فَلَمَّا خَرَجَ ﷺ مِنْ مَكَّةَ نَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةَ الْمُحِبِّ الْوَفِيِّ، وَأَخَذَ يُودِّعُهَا، وَهُوَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ

إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكَ أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا خَرَجْتُ». وَبَعْدَ ثَمَانِي سَنَاتٍ، كَتَبَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يَعُودَ إِلَى مَكَّةَ فَاتِحًا وَمُنْتَصِرًا، بَعْدَ أَنْ اضْطُرَّ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا، فَدَخَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَرِحًا مَسْرُورًا، وَعَفَا عَنْ أَهْلِهَا بِرَغْمِ مَا فَعَلُوهُ مَعَهُ. وَهَكَذَا يَكُونُ الْوَفَاءُ لِلْوَطَنِ، وَالْمُسْلِمُ يَكُونُ مُحِبًّا لَوْطَنِهِ، حَرِيصًا عَلَى مَصْلَحَتِهِ، وَفِيًّا لَهُ.

نَذْرٌ وَوَفَاءٌ

كَانَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ عَقِيمًا لَا تَلِدُ، فَدَعَتْ اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يَرْزُقَهَا بِمَوْلُودٍ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - دُعَاءَهَا، فَحَمَلَتْ. فَتَذَرَّتْ أَنْ تَجْعَلَ هَذَا الْمَوْلُودَ خَادِمًا لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالَتْ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، وَلَمْ تَكُنْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ تَعْلَمُ نَوْعَ الْجَنِينِ الَّذِي فِي بَطْنِهَا؛ ذَكَرًا كَانَ أَمْ أُنْثَى ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾.

وَبِرْغَمِ ذَلِكَ عَزَمَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ عَلَى أَنْ تُوفِّي بِنَذْرِهَا، فَسَمَتِ الْمَوْلُودَ مَرِيَمَ، وَأَعَادَتْهَا وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَفَرَّغَتْهَا لِلْعِبَادَةِ وَخِدْمَةِ بَيْتِ اللَّهِ، فَتَقَبَّلَ اللَّهُ - تَعَالَى - مَرِيَمَ، وَابْتَنَاهَا نَبَاتًا حَسَنًا، وَجَعَلَهَا مِنَ الصَّالِحَاتِ الْقَانِتَاتِ الْعَابِدَاتِ، وَجَعَلَهَا مِنْ سَيِّدَاتِ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

الزَّوْجَةُ الْوَفِيَّةُ

فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، أَسَرَ الْمُسْلِمُونَ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى أَبُو الْعَاصِ بْنِ
الرَّيْعِ زَوْجُ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ بِنْتِ الرَّسُولِ ﷺ.

وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ فَرَّقَ بَيْنَ زَيْنَبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -
وَزَوْجِهَا؛ لِأَنَّهُ مُشْرِكٌ، فَلَمَّا وَقَعَ فِي الْأَسْرِ، خَلَعَتْ عِقْدَهَا
الَّذِي أَهْدَتْهُ إِلَيْهَا أُمُّهَا السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عِنْدَ
زَوَاجِهَا، وَأَرْسَلَتْهُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ؛ لِتَقْضِيَ بِهِ أَبَا الْعَاصِ
وَفَاءَ لَهُ.

فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ الْعِقْدَ عَرَفَهُ، وَأَحْسَنَ بِوَفَاءِ ابْنَتِهِ
لِزَوْجِهَا، فَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي أَنْ يُطْلَقَ سَرَّاحَ أَبِي الْعَاصِ،
وَاسْتَأْذَنَهُمْ فِي إِعَادَةِ الْعِقْدِ إِلَى زَيْنَبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -،
فَوَافَقَ الصَّحَابَةُ.

فَاطْلَقَ الرَّسُولُ ﷺ سَرَّاحَهُ. فَلَمَّا عَادَ أَبُو الْعَاصِ إِلَى مَكَّةَ
أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَعَادَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ
زَوْجَتَهُ الْوَفِيَّةَ زَيْنَبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - .

الْخَلِيفَةُ الْوَفِيُّ

ذَاتَ يَوْمٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ (أَيِ الزَّكَاةُ الَّتِي تُجْمَعُ مِنَ الْبَحْرَيْنِ) أُعْطِيتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا». وَمَاتَ الرَّسُولُ ﷺ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ أَمْوَالُ الزَّكَاةِ مِنَ الْبَحْرَيْنِ.

فَلَمَّا تَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الْخِلَافَةَ، وَجَاءَتِ الْأَمْوَالُ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، أَمَرَ رَجُلًا أَنْ يُنَادِيَ: مَنْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ وَعَدَهُ بِشَيْءٍ فَلْيَأْتِ.

فَذَهَبَ جَابِرٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ بِوَعْدِ الرَّسُولِ ﷺ لَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ مِنْ مَالِ الْبَحْرَيْنِ إِذَا جَاءَ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)، فَأَعْطَاهُ الْخَلِيفَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَيْسًا مِنَ الْمَالِ. فَعَدَّهَا جَابِرٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَإِذَا هِيَ خَمْسَمِئَةٍ، فَأَعْطَاهُ الْخَلِيفَةُ مِثْلَهَا مَرَّتَيْنِ؛ وَفَاءً بِوَعْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

الأجير الوفي

عندمَا وَصَلَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى مَدْيَنَ بِالشَّامِ،
شَاهَدَ زِحَامًا كَبِيرًا مِنَ النَّاسِ عَلَى بئرٍ يَسْقُونَ مِنْهُ أَغْنَامَهُمْ.
وَبَعِيدًا عَنِ البئرِ، رَأَى فَتَاتَيْنِ، تَنْتَظِرَانِ حَتَّى يَنْتَهِيَ الزَّحَامُ
فَتَسْقِيَا أَغْنَامَهُمَا، فَتَطَوَّعَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَسَقَى لَهُمَا.

فَلَمَّا عَادَتِ الْفَتَاتَانِ إِلَى الْمَنْزِلِ، عَرَفَ أَبُوهُمَا الشَّيْخَ بِمَا
فَعَلَهُ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، فَأَرْسَلَ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ إِلَيْهِ تَدْعُوهُ
لِمُقَابَلَتِهِ؛ حَتَّى يُكَافِئَهُ عَلَى مَا صَنَعَ.

فَلَمَّا حَضَرَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - شُكْرَهُ الْأَبُ، وَعَرَفَ
مِنْهُ قِصَّةَ فِرَارِهِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَجِيئِهِ إِلَى مَدْيَنَ، فَطَمَأَنَّهُ الشَّيْخُ،
وَأَسْتَضَافَهُ وَأَكْرَمَهُ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُزَوِّجَهُ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ،
مُقَابِلَ أَنْ يَعْمَلَ عِنْدَهُ ثَمَانِيَةَ أَغْوَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَكْمَلَهَا عَشْرَةً.

فَوَافَقَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، وَقَضَى الْأَغْوَامَ الْعَشْرَةَ،
فَأَوْفَى بِوَعْدِهِ عَلَى خَيْرِ وَجْهِ، وَبَعْدَهَا عَادَ بِزَوْجَتِهِ إِلَى مِصْرَ.

وفاء وإيثار

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ ، اشْتَدَّ الْجُوعُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ، فَأَنْطَلَقُوا إِلَى بَيْتِ أَبِي الْهَيْثَمِ التَّيْهَانِ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ رَجُلًا غَنِيًّا ؛ فَاطْعَمَهُمْ طَعَامًا شَهِيًّا ، فَوَعَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُعْطِيَهُ خَادِمًا عِنْدَمَا تَأْتِي الْغَنَائِمُ وَالسَّبْيُ (الْأَسْرَى مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ) .

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ ، وَجَاءَ ثَلَاثَةُ مِنَ الْأَسْرَى لِلرَّسُولِ ﷺ ، فَأَعْطَى اثْنَيْنِ مِنْهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ ؛ فَاتَّخَذُوهُمَا خَادِمَيْنِ ، وَبَقِيَ وَاحِدٌ .

فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ تَطْلُبُ خَادِمًا ؛ لَكِي يُسَاعِدَهَا ، وَيُخَفِّفَ عَنْهَا مَتَاعِبَ الْعَمَلِ ، فَرَفَضَ ﷺ أَنْ يَمْنَحَهَا لَهَا ؛ لِأَنَّهُ وَعَدَ بِهِ أَبَا الْهَيْثَمِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ قَبْلُ . وَقَالَ : «كَيْفَ بِمَوْعِدِي لِأَبِي الْهَيْثَمِ ؟» ، وَآثَرَهُ بِالْخَادِمِ عَلَى ابْنَتِهِ ؛ لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ حَرِيصًا عَلَى الْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَوَعْدِهِ .

مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ

مُنْذُ قَدِيمِ الزَّمَانِ، كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَعِيشُ فِي يَثْرِبَ اسْمُهُ
عُرْقُوبٌ، وَكَانَ يَمْلِكُ نَخْلًا كَثِيرًا.

وَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَهُ أَحَدُ الْفُقَرَاءِ يَطْلُبُ صَدَقَةً، فَقَالَ لَهُ
عُرْقُوبٌ: لَا يُوجَدُ ثَمَرُ الْآنِ، اذْهَبْ ثُمَّ عُدْ عِنْدَمَا يَظْهَرُ طَلْعُ
النَّخْلِ (الْبَلَحُ الصَّغِيرُ). فَجَاءَهُ الْفَقِيرُ عِنْدَمَا ظَهَرَ الطَّلْعُ، فَقَالَ لَهُ
عُرْقُوبٌ: اذْهَبْ ثُمَّ تَعَالَ عِنْدَمَا يَصِيرُ الطَّلْعُ بَلَحًا.

فَلَمَّا صَارَ الطَّلْعُ بَلَحًا عَادَ الْفَقِيرُ، فَقَالَ لَهُ عُرْقُوبٌ: اذْهَبْ
وَائْتِنِي عِنْدَمَا يَصِيرُ الْبَلَحُ رَطْبًا.

فَلَمَّا صَارَ الْبَلَحُ رَطْبًا جَاءَ الْفَقِيرُ، فَقَالَ لَهُ عُرْقُوبٌ: تَعَالَ
إِلَيَّ حِينَمَا يَصِيرُ الرُّطْبُ ثَمَرًا.

فَلَمَّا صَارَ الرُّطْبُ ثَمَرًا، صَعَدَ عُرْقُوبُ النَّخْلَ لَيْلًا، وَقَطَعَ
الثَّمَرَ وَأَخْفَاهُ، فَحَضَرَ الْفَقِيرُ فِي الْمَوْعِدِ، فَفُوجِيَ بِأَنَّ النَّخْلَ قَدْ
أَخِذَ مَا عَلَيْهِ مِنْ ثَمَرٍ، فَعَلِمَ أَنَّ عُرْقُوبَ خَدَعَهُ.

فَصَارَ عُرْقُوبُ مَثَلًا فِي إِخْلَافِ الْوَعْدِ.

وفاء الحيوان

خَرَجَ رَجُلٌ مَعَ جَارِهِ وَشَقِيقِهِ لِيَتَزَهُوا خَارِجَ الْمَدِينَةِ ،
فَتَبِعَهُ كَلْبُهُ ؛ فَضْرَبَهُ الرَّجُلُ بِحَجَرٍ كَيَّ يَرْجِعَ فَأَصَابَهُ ، وَلَكِنْ
الْكَلْبُ ظَلَّ يَسِيرُ خَلْفَهُ .

وَفِي الطَّرِيقِ خَرَجَتْ عَلَيْهِمْ عَصَابَةٌ مِنَ الرُّجَالِ فَلَمَّا رَأَى
شَقِيقَهُ وَجَارَهُ كَثَرَتْهُمْ خَافًا وَفَرًّا وَتَرَكَاهُ وَحِيدًا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . إِلَّا
أَنَّ الْكَلْبَ أَخَذَ يَنْبَحُ عَلَيْهِمْ لِيَتْرُكُوا صَاحِبَهُ ، فَأَخَذُوا يَرْمُونَهُ
بِالْحِجَارَةِ .

ثُمَّ حَمَلُوا الرَّجُلَ بَعْدَ أَنْ ضَرَبُوهُ ، وَأَصَابُوهُ بِجِرَاحٍ عَدِيدَةٍ ،
وَرَمَوْهُ فِي حُفْرَةٍ عَمِيقَةٍ ، ثُمَّ غَطُّوَهَا بِالْأَعْشَابِ وَانْصَرَفُوا .

وَلَمَّا ابْتَعَدُوا ، جَاءَ الْكَلْبُ إِلَى الْحُفْرَةِ ، وَأَخَذَ يُحَرِّكُ
الْأَعْشَابَ بِمَخَالِبِهِ ، حَتَّى ظَهَرَ رَأْسُ صَاحِبِهِ وَقَدْ أَوْشَكَ عَلَى
الْمَوْتِ . وَعِنْدَمَا رَأَى الْكَلْبُ أَنَّاسًا يُقْبِلُونَ مِنْ بَعِيدٍ ، أَخَذَ يَنْبَحُ
نُبَاحًا شَدِيدًا وَيَنْشِئُ فِي الْأَرْضِ ، حَتَّى لَفَتْ أَنْظَارُهُمْ إِلَيْهِ .
فَجَاؤُوا وَأَخْرَجُوا الرَّجُلَ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى أَهْلِهِ .

الْوَعْدُ الْمَخْلُوفُ

بَعْدَ أَنْ أُغْرِقَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، عَاشَ بَنُو إِسْرَائِيلَ سَعْدَاءُ
بِنِعْمِ اللَّهِ - تَعَالَى - الَّتِي رَزَقَهُمْ بِهَا.

وَعِنْدَمَا ذَهَبَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِيَتَلَقَّى رِسَالَةَ رَبِّهِ،
أَمَرَ قَوْمَهُ أَنْ يَطِيعُوا أَخَاهُ هَارُونَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، وَأَخَذَ
الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَظْلُوا مُتَمَسِّكِينَ بِإِيمَانِهِمْ.

وَبِمُجَرَّدِ أَنْ تَرَكَهُمْ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، صَنَعَ رَجُلٌ
مِنْهُمْ يُسَمَّى السَّامِرِيُّ عِجْلًا مِنْ ذَهَبٍ، وَأَثَقَنَهُ بِطَرِيقَةِ
خَاصَّةٍ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَهُ الْهَوَاءُ خَرَجَ مِنْهُ صَوْتُ كَصَوْتِ
العِجْلِ، فَعَبَدَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ هَذَا الْعِجْلَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَتَسُوا
عَهْدَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ، فَنَصَحَهُمْ هَارُونَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ يَعُودُوا
إِلَى الْإِيمَانِ فَرَفَضُوا. فَأَخْبَرَ اللَّهُ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَثْنَاءَ
مُتَاجَاتِهِ لَهُ أَنَّ قَوْمَهُ قَدْ نَقَضُوا عَهْدَهُ. فَعَادَ مُوسَى إِلَيْهِمْ وَهُوَ
حَزِينٌ عَلَى مَا قَدْ صَنَعُوا، وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ وَلَا مَهْمَ عَلَيْهِمْ
إِخْلَافِهِمُ الْعَهْدَ، وَأَحْرَقَ الْعِجْلَ، وَبَدَأَ يَدْعُوهُمْ مِنْ جَدِيدٍ
إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ.

الشَّهِيدُ الْوَفِيُّ

لَمْ يَكُنْ أَنَسُ بْنُ النَّضِيرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ حَضَرُوا غَزْوَةَ بَدْرٍ، فَحَزَنَ لِذَلِكَ حُزْنًا شَدِيدًا، وَعَاهَدَ اللَّهُ أَنْ يُقَاتِلَ قِتَالًا عَظِيمًا إِذَا حَضَرَ غَزْوَةً أُخْرَى مَعَ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَالَ: إِنْ أَرَانِي اللَّهُ مُشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيرَانِي اللَّهُ مَا أَصْنَعُ.

وَفِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، حَانَ وَقْتُ الْوَفَاءِ مَعَ اللَّهِ، فَقَاتَلَ أَنَسٌ قِتَالًا عَظِيمًا حَتَّى اسْتُشْهِدَ.

فَوَجَدَ الصَّحَابَةُ فِي جَسَدِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ بِضْعَةَ وَثَمَانِينَ جُرْحًا، مَا بَيْنَ ضَرْبَةِ سَيْفٍ وَطَعْنَةِ رُمْحٍ، وَرَمِيَهُ سَهْمٌ، وَلَمْ تَعْرِفْهُ إِلَّا أُخْتُهُ.

وَنَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا بِبَدِيلًا﴾. فَكَانَ الصَّحَابَةُ يَرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا مَعَهُ.

قِصَصُ فِي الْوَفَاءِ

الْوَفَاءُ خُلِقَ عَظِيمٌ، وَصِفَةٌ جَمِيلَةٌ يُحِبُّهَا اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَرْفَعُ مَنْ يَتَّسِمُونَ بِهَا إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَيُجَازِيهِمْ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ.

وَالْوَفَاءُ أَنْ يُحَافِظَ الْإِنْسَانُ عَلَى وَعْدِهِ وَيُؤَدِّيَهُ فِي وَقْتِهِ، وَيُتَّقِدَ مَا عَاهَدَ اللَّهَ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ بِذَلِكَ يَكُونُ مُتَّقِدًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.

وَالْوَفَاءُ عَلَامَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ اكْتِمَالِ الْإِيمَانِ فِي الْقُلُوبِ، وَالْخِيَانَةُ عَلَامَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ النِّفَاقِ. فَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَتَمَسَّكَ الْإِنْسَانُ بِهَذَا الْخُلُقِ الْجَمِيلِ؛ فَيَكُونُ وَفِيًّا مَعَ رَبِّهِ، وَمَعَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ فَيُحِبُّهُ اللَّهُ، وَيُحِبُّهُ النَّاسُ.

وَهَذِهِ الْقِصَصُ الَّتِي قَرَأْنَاهَا نَتَعَرَّفُ مِنْهَا عَلَى هَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ، وَنَأْخُذُ مَا فِيهَا مِنْ عِبْرَةٍ وَعِظَةٍ.

سلسلة قصص في الأخلاق

- ١ - قصص في الأُخلاص ١١ - قصص في الرحمة
- ٢ - قصص في الأمانة ١٢ - قصص في الشجاعة
- ٣ - قصص في الإيثار ١٣ - قصص في الشُّكر
- ٤ - قصص في البِر ١٤ - قصص في الشُّورى
- ٥ - قصص في التَّعاون ١٥ - قصص في الصَّبْر
- ٦ - قصص في التَّواضع ١٦ - قصص في الصَّدق
- ٧ - قصص في التَّوكل ١٧ - قصص في الطَّاعة
- ٨ - قصص في الحب ١٨ - قصص في العدل
- ٩ - قصص في الحلم ١٩ - قصص في العفو
- ١٠ - قصص في الحياء ٢٠ - قصص في الكرم
- ٢١ - قصص في الوفاء